IUGJEPS
Vol 28, No 2, 2020, pp 135 -157

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-11-22)، تاريخ قبول النشر (2019-01-20)

النَّظمُ القرآنيُّ و أثرُهُ في تَوجِيهِ إعْرابِ التَّابعِ النَّحْويِّ " الصِّفة " في تَفْسيرِ أبي السَّعود

اسم الباحث: أ. مخلد إسماعيل سليمان أبو هلاله

اسم الجامعة والبلد: باحث في مرحلة الدكتوراة ، قسم أصول الدين ، الجامعة الأردنية

اسم الجامعة والبلد: مدرس وزارة التعليم الأردنية

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

Email address: Osama.mokhled@yahoo.com

الملخص:

تتناولُ هذه الدراسة دورَ النّظمِ القرآنيِّ ودلالته في توجيهِ إعْرابِ التَّابع النحْويِّ " الصِّفة " ، و الترجيحِ بَينَ الصفة و الأوجهِ الإعرابيَّةِ الأخرى ، التي تَتَداخَلُ مَعَ الصِّفة في الإعْراب ، و كان تفسيرُ أبي السَّعود أنموذجاً تطبيقيّاً لهذه الدِّراسة ، و لقد كَشَفَتْ هذه الدِّراسةُ عن دور النَّظم القرآنيِّ و دلالته في تحديد الوجهِ الإعرابيِّ الذي يتوافقُ مَعَ النَّظم القرآنيِّ و دلالتِهِ ، و كذلك دور النَّظم القرآنيِّ في الترجيح بينَ الصِّفة و الأوجُهِ الإعرابيَّة ، حيثُ لا بدَّ مِنَ الاستعانةِ بالنَّظم القرآنيِّ للترجيح بين هذه الأوجُهِ الإعرابية المتعددة ، لأنَّ الإعرابَ تابعٌ للنَّظم القرآنيِّ ، و فرعٌ عن مَعَانِيهِ ، و حيثُ إنَّ الألفاظ تُرَتَبُ و تُنْظَمُ وفقاً لهذه المعاني ، لذلك نَجِدُ أبا السَّعود يَهْتَمُ في توجيهِ إعْراب التَّابع النحْويِّ " الصفة " ، مُبَيِّناً دلالتَه و فائِدَتَهُ ، و يعتمد على النَّظم القرآنيِّ في ترجيح إعْراب الصِّفة أو تضعيفِها عندَ تَعدُّد الأوجُهِ الإعرابية ، و أحياناً يَذكُرُ علةَ ترجيح الصِّفة أو تضعيفِها .

كلمات مفتاحية: النَّظم القرآنيُّ ، الصِّفة ، الإعْراب

The qur'anic context and its influence on directing syntactic complement "Adjective " in Abu Saud interpretation of holy qur'an.

Abstract:

This study aims to examine the qur'anic context and its influence on directing syntactic complement "adjective " in Abu Saud interpretation of holy qur'an, to clarify the role of quranic context in directing syntactic complement "adjective", as well as the proper al'aerab through studying the qur'anic context, because al'aerab is branch of meaning and al'aerab depend on the qur'anic context to determine it.So Abu Saud is intereseted in the qur'anic context and dircting syntactic complement "adjective" according it.

Keywords: The qur'anic context, Repacement, Al'aerab

مقدمةُ الدِّراسة:

الحمد لله ربِّ العالمين ، و الصَّلاة و السِّلام على سيد المرسلين محمد بن عبدا لله و على آله و صحبه إلى يوم الِّدين أمَّا بعد : أَنْزلَ اللهُ القرآنَ الكريمَ هدايةً للعالمين ، و لِيكونَ لهم شِرعةً و مِنهاجاً ، يسيرون بهدْيه ، ويطبقون أوامرَهُ و ينتهون عمَّا نهاهم عنه، فأنزلَهُ بلسان عربيّ مُبِينٍ ، لِيَفْهمُوا دلالاتِه و معانِيَهُ " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (يوسف:2) ، لذلك تُعتبَرُ اللغة أصلاً من أصول التفسير ، الذي لا يمكن فهْمُ القرآنِ الكريم بدونها ، حيثُ يرتبط النحْو بدلالات النَّص القرآنيّ ارتباطاً وثيقاً، لذلك قد تَتَعدَّدُ الأوجهُ الإعرابيَّةُ في المَسْأَلة الواحدة، فلا بدَّ حينئذٍ من الرجوع إلى النَّظم القرآنيّ لتحديدِ الوجه الإعرابيَّة الذي يتوافق مع النَّظم و دلالاته ، لذلك اهتم المفسِّرون بالتفسير اللغويّ لِبيانِ دلالة النَّص القرآنيّ ، و معاني ألفاظِهِ و تراكيبه ، لذلك جاءت هذه الدِّراسةُ تدرس قضيةً دلاليَّةً نحْويةً في تفسير أبي السعود ، ألا وهي النَّظم القرآنيُّ و أثرُهُ في توجيهِ إعرابِ التوابعِ النَّحْويةِ " الصفة أنموذجاً " ، و الترجيح بين الأَوجه الإعرابيَّة . **و تبرز مشكلةُ الدِّراسة في :**

1 – أنَّ بعضَ المفسِّرين يجعلون دلالةَ النَّص تبعاً للإعراب ، و فرعٌ له ، مما جعل تفسيراتهم للآيات القرآنيَّة لا تتوافق مع النَّظم القرآنيّ ، مما أَحْدَثَ إشكالاً في فَهْمِ دلالات القرآن الكريم . 2– إغفالُ النَّظم القرآنيّ في الترجيح بين الأوجه الإعرابيَّة في التوابع النحْوية . حيثُ نجد بعضَ المفسِّرين يذكرون أوجهاً إعرابية معتمدينَ على البُنْيَةِ ، دون الترجيح بينها ، مع أنَّ هذا الاختلاف في الإعراب يتولد عنه دلالات و معاني مختلفة للنَّص القرآنيّ .

أهمية الدِّراسة:

تبرز أهمية هذه الدِّراسة : –

- الكشفُ عن جهود الإمام أبي السعود اللغويَّة في توجيه التوابع النحْوية "الصفة أنموذجاً " في تفسيره
- أثرُ النَّظم القرآنيّ في توجيه التَّابع النَّحْويّ " الصفة " في تفسير أبي السعود .
- بيانُ أثرِ النَّظم القرآنيّ في الترجيح بين الأوجه الإعرابيَّة المتعددة " الصفة أنموذجاً " في تفسير أبي السعود

أسئلة الدِّراسة:

1– ما جهودُ الإمام أبي السعود اللغوية في توجيه التوابع النحوية " الصفة أنموذجاً " في تفسيره ؟

2– ما أثرُ النَّظم القرآنيّ في توجيه التَّابع النَّحْويّ " الصفة " في تفسير أبي السعود في تفسير أبي السعود ؟

3 – ما أثرُ النَّظم القرآنيّ في الترجيح بين الأوجه الإعرابيَّة المتعددة " الصفة أنموذجاً " في تفسير أبي السعود ؟

أهداف الدّراسة:

أولاً : بيانُ مفهوم النَّظم القرآنيّ ، و أهميته في الدراسات اللغويَّة في القرآن الكريم .

ثانياً : بيانُ دور النَّظم القرآنيّ و دلالاته في توجيهِ إعْراب التابع النحْويّ الصِّفة .

ثالثاً : الكشفُ عن أهمية النَّظم القرآنيّ في الترجيح بين التابع النحْويّ و الأوجه الإعرابيَّة المتعدِّدة .

منهج الدّراسة :

المنهج الاستقرائيُّ : استقراء مواضع التَّابع النَّحْويّ " الصفة "في تفسير أبي السعود ، و تصِّنيفُها و ترتيبها حسب خطة الدراسة .

المنهج الاستنباطي : دراسة و تحليل التَّابع النَّحْويّ " الصفة "في تفسير أبي السعود ، و مقارنته مع أقوال المفسِّرين للكشْفِ عن دور النَّظم القرآنيّ في توجيه الصفة ، و الترجيح بين الصفة و الأوجه الإعرابيَّة الأخرى.

خطة الدراسة :

التمهيد : التعريف بمحددات الدِّراسة :

المطلب الأول : التعريف بأبي السعود .

المطلب الثاني : تعريف النظم القرآني لغة و اصطلاحاً .

المطلب الثالث : تعريف الصفة و أحكامها النحْوية

المبحث الأول : أثر النظم القرآني في توجيه إعراب الصفة :

المطلب الأول : الصفة المفردة .

المطلب الثاني : الصفة الجملة .

المبحث الثاني : أثر النَّظم القرآنيّ في الترجيح بين الصفة و الأوجه الإعرابية :

المطلب الأول : ترجيح إعراب الصفة :

المطلب الثاني : تضعيف إعراب الصفة و ترجيح غيره .

المطلب الثالث : أثر النَّظم القرآنيّ في تحديد الموصوف للصفة .

التمهيد : التعريف بمحددات الدِّراسة :

المطلب الأول : التعريف بأبي السعود :

اسمه و مولده و نشأته :

هو المفسِّر محمّد بن محمّد بن مصطفى، أبو السعود العمادي الحنفي ، وُلِد سنة ثمانيمئة وتسع و ثمانين بالقرب من مدينة القسطنطينية ، ودرس فيها ، و من مشايخه والده: محمد بن مصطفى العمادي و قادري جلبي ، ثم بعد ما أتمَّ علومه أصبح مدرِّساً في بلاد متعددة ،و من تلاميذه المولى محمّد المعروف بالسعودي قاضي حلب ، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة 952 هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة ([1]).

مِن آثاره العلمية ومؤلفاته :

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا القُرْآن الكريم ، هو تفسير للقرآن الكريم كاملاً ، و قد اشتهر هذا التفسير كثيراً ، وحتى أُطلق عليه تفسير أبي السعود ، و هذا التفسير أنموذج الدِّراسة في هذا البحث .

تحفة الطلاب في المناظرة *

مقاعد الطراف (حاشية على تفسير الكشاف) من أول تفسير سورة الفتح*

حسم الخلاف في المسح على الخفين*

رسالة في مسائل الوقوف *

تسجيل الأوقاف*

قصة هاروت وماروت.([2])

وفاته :

" توفي بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكانت جنازته حافلة وصُلِّي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملأ عظيم، وجمْع كثيرٍ، وتقدَّم للصلاة عليه فخرُ الموالي

سنان، ودفن بمقبرته التي أنشأها بالقرب من تربة سيدي أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه " ([3])

[1] – الغزي ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 3 \ 32 بتصرف

[2] – الزركليُ ، الأعلام 7 \57

المطلب الثاني : تعريفُ النَّظم القرآنيّ :

أولاً : النَّظم لغةً : يقول ابن فارس : " النُّونُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَأْلِيفِ شَيْءٍ وَتَأْلِيفِهِ، وَنَظَمْتُ الْخَرَزَ نَظْمًا، وَنَظَمْتُ الشِّعْرَ وَغَيْرَه "([4]) ويقول ابن مَنْظُور : " النَّظم التأْليفُ، نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانْتَظَمَ وتَنَظَّمَ. ونَظَمْتُ اللؤْلؤَ أَيْ جَمَعْتُهُ فِي السِّلْك، والتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشِّعر ونَظَّمْته، ونَظَمَ الأَمرَ عَلَى المثَل. وكلُّ شَيْءٍ قَرَنْتَه بِآخَرَ أَوْ ضَمَمْتَ بعضَه إِلَى بَعْضٍ، فَقَدْ نَظَمْته "([5])

فالنَّظم لغةً جمْعُ الأشياء معاً ، و تَنْسِيقُها بِشَكْلٍ حَسَنٍ ، كجمْع الخرز لِيَكُونَ عِقْداً حَسَناً ، ثُمَّ انتقل هذا المعنى الحسيُّ إلى تأليف الشِّعر و الخُطب ، التي كانوا ينظمونها ، و يتبارون بها في أسواقهم .

ثانياً : النَّظم اصطلاحاً :

أما النَّظم في اصطلاح البلاغين فهو لا يَخْتلِفُ عن معناه اللغويّ ، و هو جمْعُ الشيء ، و تنسيقُه ، حيثُ إنَّ النَّظمَ تنسيقُ الكلامِ ليكون تبعاً للمعاني عند المتكلِّم ، فالألفاظ تَبَعٌ للمعاني ، لذلك فالألفاظ تترتبُ وفقَ هذه المعاني في نظْمِها تقديماً أو تأخيراً و ذكراً أو حذفاً . يقول الجرجاني : " وأمرُ النَّظم في أنه ليس شيئاً غيرَ توخي معاني النحو فيما بين الكَلِم وأنَّك تُرتِّبُ المعاني أولاً في نفْسِك، ثم تَحْذُوا على ترتيبها الألفاظَ في نُطْقك، وأنَّا لو فرضْنا أنْ تَخْلوَ الألفاظُ منَ المعاني، لم يُتصوَّر أنْ يَجبَ فيها نَظْمٌ وترتيب، في غاية القوة والظهور. وثُمَّ ترَى الذين لَهَجُوا بأمرِ اللفظِ قد أبَوْا إلاَّ أنَّ النَّظم في الألفاظ، فترى الرجُلَ منهم يَرى ويَعْلم أنَّ الإنسانَ لا يسَتطيعُ أن يجيءَ بالألفاظ مرتَّبةً إلاَّ من بعد أن يفكِّرَ في المعاني، ويرتِّبها في نفسه على ما أعلَمْناك ، ثم تُفتِّشه فتَراهُ لا يَعرِفُ الأمرَ بحقيقتِه، وتَراه يَنظُر إلى حال السامعِ ، فإذا رأى المعانيَ لا تقَعُ مرتَّبةً في نفسِه، إلاَّ من بعْدِ أن تقَعَ الألفاظُ مرتَّبة في سَمعِه، نسيَ حالَ نفسِه واعتَبَر حالَ مَنْ يَسمَعُ منه " ([6])

أما الباقلانيُّ يري أنْ تأتيَ الألفاظُ وفقَ المعاني ، فكلُّ لفظٍ يأخذ مكانَهُ وفق المعنى الذي سِيقَ له ، فيكون هذا أفصحُ و أبلغُ " فإذا بَرَعَ اللفظُ في المعنى البارع، كان ألطفَ وأعجبَ مِنْ أنْ يوُجدَ اللفظُ البارعُ في المعنى المتداوَل المتكرر، والأمر المتقرر المتصوَر، ثُمَّ انضاف إلى ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبتدأ تأسيسه، ويراد تحقيقه – بأن التفاضل في

[3] - الغزيّ ، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة 3 \ 33 بتصرف

[4] - ابن فارس، مقاييس اللغة 5 \ 443

[5] – ابن منظور ، لسان العرب 12\ 578

[6] – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز 1 \ 377

البراعة والفصاحة، ثُمَّ إذا وجدت الألفاظ وفق المعنى، والمعاني وفقها، لا يفضل أحدهما على الآخر – فالبراعة أظهر، والفصاحة أتم " ([7])

و يرى أبو هلال العسكري أنَّ كلَّ لفظٍ يَأْخُذُ مَكانَهُ مِن تقديمٍ أو تأخيرٍ أو ذِكْرٍ أو حذفٍ تبعاً للمعاني التي يَقصِدُها المتكلِّم " وحُسْنُ الرّصف أنْ توضعَ الألفاظُ في مواضعها، وتُمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يُفسِد الكلام، ولا يعمّى المعنى؛ وتضمّ كلُّ لفظةٍ منها إلى شكلها، وتضاف إلى لِفْقِها ، وسوء الرّصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها، وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها " ([8]) أمَّا الخطابيُّ فيرى أنَّ المَيزة للنَّظم و التأليف ، أيْ : أنَّ النَّظم يربط عناصر النص القرآنيّ الألفاظ و المعاني مكوّناً أفصحَ وأعذبَ وأجزلَ نصاً ، فلا نظمَ أحسنُ منه ، فلذلك فالنَّظم عنده مجال الحُسْن ، فهو لجام الألفاظ و زمام المعاني " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حاملٌ , ومعنىً به قائمٌ , ورباطٌ لهما ناظمٌ . وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا مِن الألفاظِ أفصحَ ولا أجزلَ ولا أعذبَ مِن ألفاظه , ولا ترى نظمًا أحسنَ تأليفًا وأشدَّ تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها و صفاتها "([9])

فالنَّظم القرآني : هو أن كلَّ كلمة تَأْخُذُ مَكانَها في سِياقِها وفقَ المعاني التي أرادها الله في كِتَابِهِ الكريم تقديماً و تأخيراً، و ذِكْراً و حذفاً ، و إفراداً و جمعاً ، و تعريفاً و تنكيراً .

المطلب الثالث : الصفة تعريفها و أحكامها النحْوية :

الصِّفة و النَّعت مصطلحانِ نحْويان ، حيث إنَّ النَّعت من المصطلحات النحْوية لنحاة البصرة ، مع أنَّ بعضاً منهم يستعملون كلا المصطلحينِ في كتبهم ، أما الصفة فهو من المصطلحات النحوية لنحاة الكوفة ، و في بحثي اخترتُ أن أعبرَ بمصطلح الصفة ، وذلك لأن أنموذج الدراسة تفسير أبي السعود ، و أبو السعود يستعمل مصطلح الصفة أكثر من مصطلح النعت في تفسيره .

[7] – الباقلاني، إعجاز القرآن 1 \ 42

[8] – أبو هلال العسكريّ، الصناعتين الشعر و الكتابة \ 1 \ 161

[9] – الخطابيّ ، بيان إعجاز القرآن ، 1 \ 27 .

الصفة لغةً : يقول ابن فارس : " وَصَفَ : الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالْفَاءُ: أَصْلٌ وَاحِدٌ ، هُوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ. وَوَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا. وَ الصِّفَةُ: الْأَمَارَةُ اللَّازِمَةُ لِلشَّيْءِ ، كَمَا يُقَالُ وَزَنْتُهُ وَزْنًا ، وَالزِّنَةُ : قَدْرُ الشَّيْءِ ، يُقَالُ : اتَّصَفَ الشَّيْءُ فِي عَيْنِ النَّاظِرِ: احْتَمَلَ أَنْ يُوصَفَ" ([10]) .

هذا المعنى المعجميّ للصِّفة ، ليس مقصودَ النُّحاةِ ، إنَّما النحْويون يطلقون الِّصفة للدلالة الوصف المشتق الذي يأتي لوصف موصوفٍ ، و بيان صفته ، و يكون تابعاً له في الإعراب .

اصطلاحاً : الصفة :" تابع مقصود بالاشتقاق وصفًا، أو تأويلاً " ([11])

تابعٌ : يتبع موصوفَهُ في الإعْراب رفعاً أو نصباً أو جرًّا ، و مقصودٌ بالاشتقاق وصفًا، أيْ : هو وصفٌ مشتقٌّ من الفعل كاسم الفاعل ، أو المفعول أو غيرها من المشتقات ، أمَّا تأويلاً ، فالمقصود أنَّ الصفة إذا لم تكن وصفا مشتقاً ، تُؤوَّل بوصف مشتقٍّ ، كالمصدر في قوله – تعالى – " و جاءوا بدمٍ كذب "(يوسف : 18) أي : كاذب .

أحكام الصفة :

1– " النعت يجب فيه أن يتبع ما قبله في إعرابه وتعريفه أو تنكيره ، نحو : مررت بقوم كرماءَ ، ومررت بزيدٍ الكريمِ ، فلا تنعت المعرفة بالنكرة ، فلا تقول : مررتُ بزيدٍ كريمٍ ، ولا تنعت النكرة بالمعرفة ، فلا تقول: مررت برجل الكريم ". ([12]) وأما مطابقته للموصوف في التوحيد و التثنية والجمع ، والتذكير التأنيث، فيكون حكمُهُ حكمَ الفعل ، وَأَمَّا الْإِفْرَاد وضداه ، وهما التَّثْنِيَة وَالْجمع ، والتذكير وضده وَهُوَ التَّأْنِيث ، فَإِن النَّعْت يعْطى من ذَلِك حكم الْفِعْل الَّذِي يحل مَحَله من ذَلِك الْكَلَام ، فَتَقول مَرَرْت بأمرأة حسن أَبوهَا بالتذكير ، كَمَا تَقول حسن أَبوهَا ، وَفِي التَّنْزِيل {رَبنَا أخرجنَا من هَذِه الْقرْيَة الظَّالِم أَهلهَا}(النساء :75) ، وبرجل حَسَنَة أمه بالتأنيث ، كَمَا تَقول حسنت أمه وَتقول بِرَجُل حسن أَبَوَاهُ وبرجل حسن آباؤه ([13])

" وأجاز الأخفش وصف النكرة بالمعرفة إذا تخصصت النكرة قبل بالوصف نحو: «فآخران يقومان» ثم قال: (الأوليان) فالأوليان صفة " .([14])

---

[10] - ابن فارس ، مقاييس اللغة 6 \ 115

[11] - أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب 4 \ 1907

[12] - ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 3 \ 192

[13] - ابن هشام ، شرح شذور الذهب 1 \ 558 بتصرف

[14] - أبو حيان ، ارتشاف الضرب من لسان العرب 4 \ 1908

1- "حق التابع أن يكون متصلاً بمتبوعه ، فإن فُصِلَ بينهما بغير أجنبي حسُن كقوله تعالى : "أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ، ففُصِلَ بالمبتدأ بين الصفة و الموصوف، لكونه بعض الخبر.وكقوله تعالى: {أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الأنعام :14) ، ففُصِلَ بالفعل ومفعوله الثاني بين الصفة والموصوف، لإضافة المفعول الأول إليه، فلم يعد الفاصل أجنبيا. ومن الفصل بما ليس أجنبيا محضا الفصل بـ"وامسحو ا برءوسكم"(المائدة : 6) بين الأيدي والأرجل ؛ لأن المجموع عمل واحد ، قُصِدَ الإعلام بترتيبه فحسن ، وكان ذلك أسهل من الجملة المعترضة بها بين شيئين امتزاجهما أشدّ من امتزاج

المعطوف والمعطوف عليه كالموصولة والصلة، والموصوف والصفة. فلو جِيء بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة لا يكون مضمونها جزء ما توسطت فيه، ولا هي حالية، ولا اعتراضية تمحضت أجنبيتها، ولم يجزْ الفصل بها ، ثمَّ نبهتُ على ما لا يجوز الفصل بينه وبين متبوعه" .([15])

3-" المضمر لا يقع موصوفاً ولا صفة ، والعلم مثلُهُ في أنَّه لا يُوصَف به ، و يُوصَف بثلاثة بالمعرف باللام ، وبالمضاف إلى المعرفة ، وبالمبهم، كقولك مررت بزيد الكريم ، وبزيد صاحب عمرو، وبزيد هذا" .([16]) 4-" وقد تقع الجُمَلُ صفاتٍ للنكراتِ ، وتلك الجملُ هي الخَبَريّةُ المحتمِلةُ للصدْق والكذْبِ، وهي التي تكون أخبارًا للمبتدأ، وصلاتٍ للموصولات. وهي أربعةُ أضرب : الأوَّل : أن تكون جملةً مركّبةً من فعلٍ وفاعل ، والثاني : أن تكون مركّبةٌ من مبتدأ و خبر، والثالث : أن تكون شرطًا، وجَزاءً ، والرابعُ : أن تكون ظرفًا". ([17])

5- " يجوز حذف المنعوت ، وإقامة النعت مقامَه ، إذا دلَّ عليه دليلٌ ، نحو قوله- تعالى- : {أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ}(سبأ: 11)أيْ : دروعاً سابغاتٍ ، وكذلك يحذف النعت إذ دلَّ عليه دليل ، لكنَّه قليلٌ ومنه قوله- تعالى- : {قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ}(البقرة : 71) أيْ : بِالْحَقِّ البيّن وقوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} (هود :46) .أيْ : مِنْ أَهْلِكَ النَّاجين". ([18])

6-" قد يوصَف بالمصادر كما يوصف بالمشتقات، فيقال: "رجلٌ فَضْلٌ"؟، و"رجلٌ عَدْلٌ"، كما يقال: "رجلٌ فاضلٌ وعادلٌ. وأمّا المصادر التي يُنعَت بها، وهي مضافةٌ ، فقولهم : "مررت برجلٍ حَسْبِك من رجلٍ، وبرجلٍ شَرْعِك مِن رجلٍ" ([19])

---

[15] - ابن مالك ، شرح الكافية الشافية 2\ 1148

[16] – الزمخشري ، المفصل في صنعة الإعراب 3 \ 196

[17] – ابن يعيش ،شرح المفصل في صنعة الإعراب 2 \ 241

[18] – ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 3 \ 205

[19] – ابن يعيش ،شرح المفصل في صنعة الإعراب 2 \ 237

يقول ابن يعيش:" و يستوي فيه المذكر و المؤنث ، فتقول: هذا رجلٌ عدْلٌ"، و"رأيت رجلًا عدلًا ، ومررت برجل عدْل، وبامرأةٍ عدْلٍ، وهذان رجلان عدْلٌ، ورأيت رجلَيْن عدْلًا ، ومررت برجلين عدْلٍ، وتقول: هذا رجلٌ حسبُك من رجلٍ، وهَذُك من رجل، وهذان رجلان حسبُك بهما من رجلَين، و"هؤلاء رجالٌ حسبُك من رجال، فيكون موحَّدًا على كلّ حال ؛ لأنّ المصدر موحَّدٌ لا يُثنَّى، ولا يُجمع ؛ لأنّه جنسٌ يدلّ بلفظه على القليل والكثير، فاستُغني عن تثنيته وجمعه ، إلّا أن يكثُر الوصفُ بالمصدر، فيصير من حَيِّز الصفات، لغَلَبَةِ الوصف به، فيسوغ حينئذٍ تثنيتُه وجمعُه " ([20])

فائدة الصفة :

1- وقد يكون للتّأكيد : كقوله – تعالى – : { فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ } (الحاقة :13)

2 – مَا يُفِيد تَخْصِيص الْمَتْبُوع : كقَوْله تَعَالَى {فَتَحْرِير رَقَبَة مُؤمنَة} (النِّساء: 92)

3- مَا يُفِيد مدحه : كقوله – تعالى – : {الْحَمد لله رب الْعَالمين} (الفاتحة:2)

4- مَا يُفِيد ذمه : ومثال ذلك : أعوذ بِاللَّه من الشَّيْطَان الرَّجِيم .

5 – مَا يُفِيد الترحم عَلَيْهِ : ومثال ذلك : اللَّهُمَّ أَنا عَبدك الْمِسْكِين. ([21])

[20] - ابن يعيش ،شرح المفصل في علوم العربية 2 \ 238

[21] - انظر : الكافية ابن الحاجب 1\ 29 ، شرح شذور الذهب 1 \ 557 ، ارتشاف الضرب 4 \ 1907 بتصرف .

المبحث الأول : أثر النَّظمُ القرآنيُّ في تَوجِيهِ التَّابعِ النَّحْويّ " الصفة " :

هذا المبحث يدرسُ أثرَ النَّظم القرآنيّ في توجيه التابع النَّحْويّ " الصِّفة " لِبيانِ علاقةِ النَّظم القرآنيّ و أثرِه في توجيه إعْراب التابع النحوي " الصفة " ، و دلالته في السياق القرآنيّ من خلال تفسير أبي السعود ، مقارناً ذلك بأقوال المفسّرين لِلكشْفِ عن القيمة العلميَّة في توجيه إعْرابِ التابع النحْويّ " الصفة " في تفسير أبي السعود .

المطلب الأول : الصفة المفردة .

الآية الأولى : {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [هود: 13].

ذهب أبو السعود أن " مِثْلِهِ" صفة مجرورة لعَشْرِ سُوَرٍ، أيْ مماثلة لهنَّ في البلاغة وحُسنِ النظمِ ، و " مُفْتَرَيَاتٍ" صفة ثانية لعَشْرِ سُوَرٍ ، جِيء بها للتأكيد على عجزهم عن الإتيان بمثله ، ولو قُدِّمت الصفة الثانية " مُفْتَرَيَاتٍ "أيْ : بِعَشْرِ سُوَرٍ مُفْتَرَيَاتٍ مِثْلِهِ ، لتوهم أنَّ المقصودَ المماثلةُ في الافتراء ، لكنَّ المقصودَ التحدي لهم أن يأتوا بعشر سور مماثلة للقرآن في بلاغته و حسن نظمه ، حتى لو افترَوا هذه السورَ والآياتِ من تلقاء أنفسِهم ، فأبو السعود يعتبر تقديم الصفة " مُفْتَرَيَاتٍ "على الصفة " مِثْلِهِ " أنَّه مُخِلٌ بالمعنى ؛ لتُوهّمِ أنَّ المرادَ هو المماثلةُ في الافتراء ؛ لذلك جاء النَّظم القرآني في أرفع منازل الفصاحة و البلاغة حيث قدَّم و أخَّر وفقاً للمعاني ، يقول أبو السعود : " بِعَشْرِ سُوَرٍ مّثْلِهِ" في البلاغة وحُسنِ النظمِ وهو نعتٌ لسُوَر أي أمثالِه وتوحيدُه إما باعتبار مماثلةِ كل واحد منها ، أو لأن المطابقةَ ليست بشرط حتى يوصَفُ المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى:" أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مثلنا "(المؤمنون :47)، أو للإماء إلى أن وجهَ الشبهِ ومدارَ المماثلةِ في الجميع شيءٌ واحدٌ هو البلاغةُ المؤديةُ إلى مرتبة الإعجازِ فكأن الجميعَ واحدٌ ، مُفْتَرَيَاتٍ" صفةٌ أخرى لسُور أُخِّرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفةُ المقصودةُ بالتكليف إذ بها يظهر عجزُهم وقعودُهم عن المعارضة وأما وصفُ الافتراء فلا يتعلق به غرضٌ يدور عليه شيءٌ في مقام التحدّي وإنما ذُكر على نهج المساهلةِ وإرخاءِ العِنانِ ، لو عُكس الترتيبُ لربما تُوُهّم أن المرادَ هو المماثلةُ في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سورٍ مماثلةٍ له في البلاغة مختلقات من عند أنفسِكم إن صح أن اختلقتُه من عندي فإنكم أقدرُ على ذلك مني لأنكم عرَبٌ فصحاءُ بلغاءُ قد مارستم مبادى ذلك من الخُطَب والأشعارِ وحفِظتم الوقائعَ والأيامَ وزاولتم أساليبَ النظْمِ والنثر" ([22])

الآية الثانية: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) } [الرحمن: 46 – 49]

[22] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 4 \ 191

يرى أبو السعود أن " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ" في قوله تعالى " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ" صفة لجنَّتانِ ، و قول – تعالى : " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " اعتراض بين الصفة و موصوفها ، جيء به بياناً على أن التكذيب بالموصوف " جَنَّتَانِ " و صفة " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ " موجب لتوبيخهم و الإنكار عليهم تكذيبهم و كفرهم بالله ، و الفصل بين الموصوف و صفته بالجملة المعترضة فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لا يُعدُّ أجنبياً ، لذلك أجاز النحاة ذلك في الفصل بالجملة المعترضة ، يقول أبو السعود : " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ" صفةٌ لجنَّتانِ وما بينهُمَا اعتراضٌ وُسّطَ بينهُمَا تنبيهاً على أنَّ تكذيبَ كلَ من الموصوفِ والصفةِ موجبٌ للإنكارِ والتوبيخِ " ([23])

أمَّا السمين الحلبي فذهب إلى " ذَوَاتَا " إمَّا صفة لـ جنتان ، أو خبر مبتدأ محذوف ، تقديره هما ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، و لم يرجِّح بينهما ، يقول السمين الحلبي :" {ذَوَاتَا} صفةٌ ل جَنَّتان، أو خبرُ مبتدأ محذوفٍ ". ([24])

فإعرابها {ذَوَاتَا} خبراً ،كما ذهب إليه السمين الحلبيُّ يتولَّد عنه جملةٌ تكون هذه الجملة ، إمَّا في موقع صفة لـ " جَنَّتان "وإمَّا اعتبارها استئنافية لسؤال محذوف ، ما هما ؟ و هذا تقدير في النظم في غير محله ، و لا فائدة دلالية يفيدها الاستئناف ، و الذي جعل السمين الحلبي يذهب إلى هذا التقدير هو أن " ذَوَاتَا أَفْنَانٍ " تحتمل من حيث الصناعة النحْوية الوجهين ، و هذا دأب السمين الحلبيّ فهو غالبا ما ينظر إلى الاحتمالات النحوية دون النَّظم القرآنيّ ، لذلك إعرابها صفة لـ" جَنَّتان " بدون تقدير أنَّها جملة مستقلة أوفق للنَّظم القرآنيّ.

الآية الثالثة: {فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} [القمر: 24]

ذهب أبو السعود أنَّ " وَاحِدًا " صفة لـ بشراً ، أيْ : رجلاً واحداً منفرداً ، أو رجلاً ليس من أشرافهم أو علية القوم ، و جاءت الصفة " وَاحِدًا" متأخرةً عن الصفة المؤولة ، الجار و المجرور " مِنَّا" أي : كائناً مِنَّا ، للدلالة على أن كلاً من المماثلة في الجنسية البشرية ، و الوحدة مانع لهؤلاء من الاتباع ، و لو قُدِّمَت الصفة الصريحة " وَاحِدًا" على الصفة المؤولة ، الجار و المجرور " مِنَّا" لمْ يتحقق ذلك ، لأن المعنى يصبح فَقَالُوا أَبَشَرًا وَاحِدًا من قومنا نَتَّبِعُهُ ، فيكون اعتراضهم على الوحدة ، ، لا الجنسية ،أيْ : أنَّه من قومهم ، لذلك أبو السعود يبيِّن اتساق الصفات حيث كلُّ صفةٍ تأخُذ مكانَها لِترسُمَ دلالتها في سياقها القرآني ، و لو تغيَّر هذا النَّظم لفسد المعنى ، يقول أبو السعود : " وَاحِدًا " أيْ : منفرداً لا تبع له أو واحداً من آحادِهم لا من أشرافِهم وهو صفةٌ أُخرى لبشراً وتأخيرُه عن الصفةِ المؤولةِ للتنبيهِ على أنَّ كلاً من الجنسيةِ والوحدةِ مما يمنعُ الاتباعَ ولو قُدِّمَ عليَها لفاتتِ هذه النكتةُ ". ([25])

[23] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 8 \ 184

[24] السمين الحلبي ، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون 10 \187

[25] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 8 \ 171

الآية الرابعة: {وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)} [البقرة: 26، 27]

ذهب أبو السعود أن الاسم الموصول " الَّذِينَ " في قوله – تعالى – : " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ " صفةً للفاسقين ، فائدته تقرير ذمِّهم و ما هم عليه من الفسق و نقضهم ميثاق الله ، حيث قال : " الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله} صفةٌ للفاسقين للذم وتقريرِ ما هم عليه من الفسق والنقضِ " (26)

والاسم الموصول من الاسماء المبنية التي تلزم البناء على الفتح ، فلذلك تعددتْ أوجهُ الإعراب في هذه الآية الكريمة فيه، فلذلك ذكر أبو حيان أربع أوجه في إعراب الاسم الموصل " الَّذِينَ " أولها : صفة للفاسقين ، ثانيهما : النصب على الذم ، أَيْ أَذُمُّ الَّذِينَ ، ثالثهما : خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : هُمُ الَّذِينَ ، رابعهما : مبتدأ و خبره الجملة الاسمية " أُولَئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ " يقول أبو حيان : " الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ: يَحْتَمِلُ النَّصْبَ وَالرَّفْعَ. فَالنَّصْبُ مِنْ وَجْهَيْنِ: إِمَّا عَلَى الِاتِّبَاعِ، وَإِمَّا عَلَى الْقَطْعِ، أَيْ أَذُمُّ الَّذِينَ. وَالرَّفْعُ مِنْ وَجْهَيْنِ: إِمَّا عَلَى الْقَطْعِ، أَيْ هُمُ الَّذِينَ، وَإِمَّا عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَيَكُونُ الْخَبَرُ الْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ. وَعَلَى هَذَا الْإِعْرَابِ تَكُونُ هَذِهِ الْجُمْلَةُ كَأَنَّهَا كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، لَا تَعَلُّقَ لَهَا بِمَا قَبْلَهَا إِلَّا عَلَى بُعْدٍ"(27)

ثمَّ رجَّح أبو حيان وجهَ الصفة على غيره من الأوجه ، لأنها جاءت ذمَّاً ، وهي لازمة لهم ؛ لأنَّ كلَّ فَاسِقٍ يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَيَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ " فَالْأَوْلَى مِنْ هَذَا الْإِعْرَابِ الْأَعَارِيبُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَأَوْلَاهَا الْإِتْبَاعُ، وَتَكُونُ هَذِهِ الصِّفَةُ صِفَةَ ذَمٍّ، وَهِيَ لَازِمَةٌ، إِذْ كُلُّ فَاسِقٍ يَنْقُضُ الْعَهْدَ وَيَقْطَعُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِوَصْلِه " (28)

الآية الخامسة: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [البقرة: 59]

أَعْرَبَ أبو السعود " غَيْرَ " صفة منصوبة لـ قولاً ، جِيء بها تحقيقاً و بياناً لمخالفتهم أمر الله ، وتنصيصاً على المغايرة لما أمروا به ، حيث جاءوا بقول غير الذي أمرهم الله أن يقولوه ، فبدلوه و غيَّروه ، يقول أبو السعود :" غَيْرَ الذى قِيلَ لَهُمْ" نعتٌ لقولا وإنما صُرِّح به مع استحالة تحقُّق التبديلِ بلا مغايَرةٍ تحقيقاً لمخالفتهم ، وتنصيصاً على المغايرة من كلِّ وجه" (29)

---

26 - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 75

27 - أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 1 \ 205

28 – أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير 1 \ 205

29 – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 105

المطلب الثاني : الصفة الجملة :

الآية الأولى: {وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ } [النساء: 12]

أَعْرَبَ أبو السعود يُوصِينَ بِهَا في محل جرّ صفة لوَصِيَّةٍ ، و فائدته مجيء الصِّفة ترغيب و حث للميت أنْ يُوصِي ، و حثٌّ للورثة على تنفيذ الوصية ، و لو قال : مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ أَوْ دَيْنٍ ، لم يتحقق المعنى في الترغيب و الحث على الوصية ، فأبو السعود وجَّه إعرابَه ، وبيَّنَ فائدةَ مجيء الصفة في وصف الوصية ، يقول أبو السعود : " يُوصِينَ بِهَا" في محل الجرِّ على أنه صفةٌ لوصيةٍ وفائدتُها ما مر من ترغيب الميتِ في الوصية وحثِّ الورثةِ على تنفيذها " ([30])

الآية الثانية: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164]

بعد ما أعرب أبو السعود جملتي " مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ " أنهما في محل نصب للموصوف " رَسُولًا " وقوله تعالى مّنْ أَنفُسِهِمْ متعلقٌ بمحذوف وقع صفة لرسولاً أي كائناً من أنفسهم وقوله تعالى – : " {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياته} صفةٌ أخرى أي يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهلَ جاهليةٍ لم يطرُق أسماعَهم شيءٌ من الوحي " ثم أعرب " وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ " صفة أخرى لـ " رَسُولًا " و هي مترتبة في المعنى على صفة التلاوة " يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ "، و إنما وسط بينهما بصفة التزكية " وَيُزَكِّيهِمْ " وهي تهذيب النفس بالعمل المتفرع عن صفة التلاوة ، فهم يتلون كتاب الله ، ثم يزكون أنفسهم بالعمل به تطبيقاً لما تعلموه ، و كان هذا الترتيب في النظم القرآني للدلالة أنَّ كلَّ صفةٍ من الصفات المذكورة تلاوة الكتاب ، و تزكية النفس , تعليم الكتاب ، نعمةٌ بذاتها ، مستوجبةٌ للشكر ، يقول أبو السعود : " وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب والحكمة} أي القرآنَ والسنةَ وهو صفةٌ أُخْرَى لرسولاً مترتبةٌ في الوجودِ عَلَى التِّلاوةِ وإنَّما وَسَّطَ بينَهُما التزكيةَ التي هي

عبارةٌ عن تكميل النفس بحسب القوةِ العمليةِ وتهذيبها المتفرّعِ عَلَى تكميلِهَا بحسبِ القوةِ النظريةِ الحاصلِ بالتعليمِ المترتبِ على التلاوة للإيذانِ بأنَّ كلَّ واحدٍ من الأمورِ المترتبةِ نعمةٌ جليلةٌ على حيالِهَا مستوجبةٌ للشكرِ فَلَو رُوعِي ترتيبَ الوجودِ كما في قوله تعالى رَبَّنَا وابعث فِيهِمْ رَسُولاً مّنْهُمْ يتلو عَلَيْهِمْ آياتك وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب والحكمة وَيُزَكّيهِمْ لتبادر إلى الفهم عدُّ الجميعِ نعمةً واحدةً وهو

[30] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 151

السرُّ في التعبير عن القرآن بالآياتِ تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزاً إلى أنَّه باعتبارِ كلِّ عنوانٍ نعمةٌ عَلى حدة ولا يقدحُ في ذلك شمولُ الحكمةِ لِمَا في مطاوي الأحاديثِ الكريمةِ من الشرائع كما سلف في سورة البقرة" . ([31])

الآية الثالثة: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: 144].

أعرب أبو السعود " قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" صفة مرفوعة لـ " رَسُولٌ " مُبينةً أنَّ خلوَ من قبله من الرسل شاهٌد و دليلٌ على خلوه – صلَّى الله عليه وسلَّم – لا محالةَ ، أيْ : قد خلتْ من قبله الرسلُ أمثالُهُ ، فسيخلو محمَّدٌ – صلَّى الله عليه وسلَّم– كما خلوا ، يقول أبو السعود : " قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل" صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخُلوِّ فإنَّ خلوَ مشاركيه في منصِب الرسالةِ من شواهد خلوة عليه الصلاة والسلام لا محالةَ ، كأنَّه قِيل قد خلتْ من قبله أمثالُه فسيخْلو كما خلَوْا "([32])

الآية الرابعة: { لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114)} [آل عمران: 113،114]

أعرب أبو السعود " يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الأخر " صفة مرفوعة للموصوف " أُمَّةٌ " بعد ما وُصِفَتْ بـ " قَائِمَةٌ " و " يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ " بياناً لمباينة هذه الفئة المؤمنة لليهود من جهة الإيمان بالله و اليوم الآخر ، حيث إنَّهم يؤمنون بالله و اليوم الآخر إيماناً كما أمرهم الله به ، يقول أبو السعود : " يُؤْمِنُونَ بالله واليوم الأخر" صفةٌ أخرى لأُمةٌ مبينةٌ لمُباينتهم اليهودَ من جهة أخرى ، أيْ : يؤمنون بها على الوجه الذي نطقَ به الشرعُ ، والإطلاقُ للإيذان بالغنى عن التقييد لظهور أنه الذي يُطلق عليه الإيمان بهما لا يذهبُ الوهمُ إلى غيره وللتعريض بأن إيمانَ اليهودِ بهما مع قولهم عزيرٌ ابنُ الله وكفرِهم ببعض الكتبِ والرسلِ ووصفِهم اليومَ الآخِرَ بخلاف صفتِه ليس من الإيمان بهما في شئ أصلاً ولو قُيد بما ذكر لربما تُوُهِّم أن المنتفيَ عنهم هو القيدُ المذكورُ مع جواز إطلاقِ الإيمانِ على إيمانهم بالأصل وهيهات " ([33])

ثم جاءت صفتهم بفضائل الأخلاق ،" وَيَأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ "وهو التطبيق العملي لإيمانهم بأنهمَ يَأْمُرُونَ الناس بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَهم عَنِ المنكرِ ، و هما صفتان أُخْرَيانِ لـ " أُمةٌ " و ذلك تقرير لمخالفتهم اليهود في فضائل الأخلاق ، بعد وصفهم بمخالفتهم اليهود في الإيمان ، فالمؤمنون يؤمنون بالله و اليوم الآخر ، و يطبقون ما آمنوا به بأنْ يعملوا بمقتضى ما أمرهم الله ، و الالتزام به بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، يقول أبو السعود : " وَيَأْمُرُونَ بالمعروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المنكرِ} صفتان

[31] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 108
[32] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 92
[33] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 74

أُخْرَيان لأُمةٌ أُجرِيتا عليهم تحقيقاً لمخالفتهم اليهودَ في الفضائل المتعلقةِ بتكميل الغيرِ إثرَ بيانِ مُباينتِهم لهم في الخصائص المتعلقةِ بتكميل النفسِ وتعريضاً بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناسِ وصدِّهم عن سبيل الله فإنه أمرٌ بالمنكر ونهيٌ عن بالمعروف " ([34])

المبحث الثاني : أثر النظم في الترجيح بين الصفة و الأوجه الإعرابية :

المطلب الأول : ترجيح إعراب الصفة :

الآية الأولى : {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [الأنبياء: 22]

ذهب أبو السعود أن " إِلَّا " في قوله – تعالى – " لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ الله" صفة لـ " آلِهَةٌ "بمعنى غير، أي : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غيرُ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، ثُّم مَنَعَ النصب على الاستثناء ، أيْ : أن ينصب لفظ الجلالة الله على الاستثناء ، وذلك لأنَّه لا يمكن شمول ما قبلها لما بعدها ، و لفساد المعنى ، وذلك لأنَّ الفسادَ مترتبٌ على أنَّه ليس فيهما ، فيكون التقدير : لو كان فيهما آلِهَةٌ موجودةٌ ، و الله ليس فيهما لفسدتا . ثمَّ مَنَعَ إعرابها بدلاً ؛ لأنَّه كلام موجب ، وإنَّما البدل يكون في الكلام غير الموجب ، أيْ : المنفي ، ويكون المعنى: لَوْ كَانَ فِيهِمَا غيرُ اللَّهِ لَفَسَدَتَا ، كما هو اعتقادهم الفاسد، حيث انتفى الفساد في السماوات و الأرض ، فانتفى المُقدَّم وجود آلهة غير الله .

يقول أبو السعود : " لَوْ كَانَ فِيهِمَا الِهَةٌ إِلاَّ الله" و " إِلَّا " بمعنى غير على أنها صفةٌ لآلهة ، ولا مساغَ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلَها لما بعدَها وإفضائِه إلى فساد المعنى ؛ لدلالته حينئذ على أن الفسادَ لكونها فيهما بدونه – تعالى –ولا للرفع على البدل ؛ لأنَّه متفرّعٌ على الاستثناء ومشروطٌ بأنْ يكون في كلامٍ غيرِ موجب أيْ : لو كان في السموات والأرض آلهةٌ غيرُ الله كما هو اعتقادُهم الباطل {لَفَسَدَتَا} أي لبطلتا بما فيهما جميعاً ، وحيث انتفى التالي عُلم انتفاء المُقدَّم قطعاً "([35])

أمَّا الزمخشريّ فأعربها صفةً ، و مَنَعَ إعرابها بدلاً ، و ذلك لأنَّ " لو " بمنزلة " إنْ " تفيد أن الكلام مثبت غير منفيٍ ، و لا يجوز البدل إلَّا في الكلام غير الموجب ،أيْ : الكلام المنفيّ ، يقول الزمخشري : " فإن قلت: ما مَنعَك من الرفع على البدل؟ قلتَ: لأنّ «لو» بمنزلة «إن» في أنّ الكلام معه موجب، والبدل لا يسوّغ إلا في الكلام غير الموجب، كقوله– تعالى– : وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ"(هود :81) وذلك لأنّ أعم العامّ يصح نفيه، ولا يصح إيجابه. والمعنى: لو كان يتولاهما

[34] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 2 \ 74

[35] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 6 \ 61

ويدبر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا. وفيه دلالة على أمرين: أحدهما وجوب أن لا يكون مدبرهما إلا واحدا. والثاني: أن لا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده، لقوله إِلَّا اللَّهُ. فإنْ قلتَ: لِمَ وجب الأمران؟ قلت: لعلمنا أنّ الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف". ([36])

و لمْ يذكرْ الزمخشري وجه الاستثناء لأنَّ البنيةَ لا تَحْتمِلُه ، و ذلك لأنَّ لفظ الجلالة مرفوع " اللهُ ، فلا يحتمل النصب على الاستثناء ، أمَّا أبو السعود فمنع أن ينصَبَ لفظ الجلالة في هذه الآية ، و ذلك لفساد المعنى .

الآية الثانية: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة: 7]

أعرب أبو السعود " غَيْرِ " في قوله – تعالى–" غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ" صفةٌ مجرورة للموصول في قوله – تعالى – : " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " ومجيء " غير " صفة مع أنَّها مبهمةٌ ، لأنَّ غير أُضيفت إلى الْمَغْضُوبِ و الضَّالّينَ ، فأفادت المغايرة المطلقة ، فلذلك صحَّ وقوعها صفة ، أمَّا إعرابها صفة فهو يتوافق مع النَّظم القرآنيّ ، و ذلك لأنَّهم جمعوا هذه الصفات كلَّها و وُصِفوا بها نعمة الإيمان و نعمة السلامة من الغضب و الضلال يقول أبو السعود : " غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالّينَ" صفةٌ للموصول على أنه عبارةٌ عن إحدى الطوائفِ المذكورةِ المشهورةِ بالإنعام عليهم وباستقامة المسْلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايَرَة لما أضيف إليه كلمةُ غير من المتصفين بضدَّي الوصفين المذكورين أعني مطلقَ المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تَعرُّفاً مصححاً لوقوعها صفةً للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غيرِ السكون وُصفوا بذلك تكملةً لما قبله وإيذاناً بأن السلامة مما ابتُلي به أولئك نعمةٌ جليلةٌ في نفسها أي الذين جمعوا بين النعمة المُطلقة التي هي نعمةُ الإيمان ونعمةُ السلامة من الغضب والضلال" ([37])

ثمَّ مَنَعَ أبو السعود إعرابها بدلاً ، لأنَّ البدلَ المقصودُ بالحكم ، فيكون المقصود السلامة من الغضب و الضلال ، و هذا لا يتوافق مع النظم القرآني ، لأنَّ هذا الصفات الثلاث المذكورة في الآيات الكريمات نعمة الإيمان و نعمة السلامة من الغضب ونعمة السلامة من الضلال ، لا تنفك إحداهما عن الأخرى . يقول أبو السعود : " وقيل: المرادُ بالموصول طائفةٌ من المؤمنين لا بأعيانهم ، فيكون بمعنى النكرة كذي اللام ، إذا أُريد به الجنسُ في ضمن بعضِ الأفراد لا بعينه ، وهو المسمَّى بالمعهود الذهنيّ، وبالمغضوب عليهم والضالين اليهودُ والنصارى ، كمَا ورد في مسند أحمدَ والترمذي ، فيبقى لفظُ غير على

[36] - الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 3 \ 111

[37] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 19

إبهامه نكرة كمثل موصوفِه ، وأنت خبير بأن جعْلَ الموصول عبارةَ عما ذُكر من طائفةٍ غيرِ معيَّنة مُخلٌّ ببدليةِ ما أُضِيف إليه مما قبله ، فإنَّ مدارَها كونُ صراطِ المؤمنين علَماً في الاستقامة مشهوداً له بالاستواء على الوجه الذي تحقَّقْتَه فيما سلف ، ومن البيِّن أنَّ ذلك من حيثُ إضافتُه وانتسابُه إلى كلِّهم لا إلى بعضٍ مُبْهَمٍ منهم ، وبهذا تَبيَّن أن لا سبيلَ إلى جعْل غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ بدلاً من الموصول لمَا عرفتَ مِن أنَّ شأنَ البدلِ أنْ يُفيدَ متبوعَهُ مزيدَ تأكيدٍ وتقرير وفضلَ إيضاحٍ وتفسيرٍ ، ولا ريب في أن قصارى أمرِ مَا نحنُ فيهِ أنْ يكتسبَ ممَّا أُضِيف إليه نوعَ تعرُّفٍ مصحِّحٍ لوقوعه صفةً للموصول، وأمَّا استحقاقُ أن يكون مقصوداً بالنسبة مفيداً لما ذُكِر من الفوائد فَكَلَّا " ([38])

أمَّا الزمخشري فذكر فيها الوجهينِ ، أولها : أنَّها بدلٌ ، و ثانيهما : صفةٌ ، و لم يرجِّح بينهما " غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ بدل من الذين أنعمت عليهم، على معنى أنّ المنعم عليهم: هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله والضلال " ([39])

و أعتقد أنَّ ما ذهب إليه أبو السعود في إعرابها صفة ، و مَنْعِ إعرابها بدلاً أوفق للنَّظم القرآنيّ ، لأنَّ النَّظم القرآنيَّ يُعدِدُ صفات المؤمنين ابتداءً من نعمة الإيمان ثم غير المغضوب عليهم ، ثمَّ وصفهم أنَّهم غيرُ ضالّين ،أمَّا أعرابها بدلاً ، فيكون المقصودُ صفة " غير المغضوب عليهم" ، و ليس المقصود ذلك ، إنَّما مقصودُ النَّظم هنا بيانُ صفاتهم ، حيث أنهم يجمعون هذه الصفات ، التي لا تنفك واحد عن الأخرى .

<u>الآية الثالثة :</u> {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } [الشعراء: 77، 78]

أعرب أبو السعود {الذى خَلَقَنِي } في محل نصب صفة لـ " رَبَّ الْعَالَمِينَ " لأنَّ هذه صفات الربوبية ، حيث اندرجتْ صفةُ الخَلق و ما عُطِفَ عليها " وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)" تحت صفات الربوبية ، التي هي من صفات الربوبية لا تكون في غير الله ، ثُمَّ مَنَعَ أبو السعود أنْ يكون الاسمُ الموصولُ " الَّذِي خَلَقَنِي " مبتدأً ، و ما بعده خبرٌ له ، أيْ : الاسم الموصول الذي : مبتدأ ، و" فَهُوَ " : مُبْتَدَأٌ ثَانٍ، وَ " يَهْدِينِ " : خَبَرُهُ ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ المبيدأ الأول " الذي" ، و قد ذكر العكبري الإعرابينِ : الصفة ، و الرفع على

[38] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 19

[39] – الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 1 \ 16

الابتداء ([40])، و هذا دأب العكبري لا ينظر إلى النَّظم القرآنيّ و دلالاته للترجيح بين الأقوال أما أبو السعود فذكر الإعرابينِ ، ثم رجَّح بينهما وفق للنظم القرآني مبيناً علة الترجيح .

يقول أبو السعود : " الذى خَلَقَنِى " صفةٌ لربِّ العالمينَ وجعلُه مبتدأً وما بعْدَه خبراً غيرُ حقيقٍ بجزالة التَّنزيلِ ، وإنَّما وصفه –تعالى – بذلك وبما عَطفَه عليهِ مع اندراجِ الكلِّ تحت ربوبيتهِ – تعالى – للعالمين تصريحاً بالنِّعم الخاصَّةِ به –عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ – وتفصيلاً لها لكونِها أدخلَ في اقتضاءِ تخصيصَ العبادةِ به – تعالى – وقصرِ الالتجاء في جلبِ المنافعِ الدِّينيةِ والدُّنيويةِ المضارِّ العاجلةِ والآجلةِ عليه – تعالى – {فهو يهدين} " ([41])

- المطلب الثاني : تضعيف إعراب الصفة و ترجيح غيره:

الآية الأولى: { لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ } [المائدة: 70]

ذهب أبو السعود أن " كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ "جملة شرطيةٌ مستأنَفةٌ وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الإخبار بأخذِهم الميثاق، وإرسالِ الله الرسلِ إليهم ، وجواب الشرط محذوف ، كأنَّه قِيل : فماذا فعلوا بالرسل ، فقِيل: كلَّما جاءهم رسولٌ من أولئك الرسل بما لا تُحبه أنفسُهم من الأحكام والشرائعِ التي أوجبها الله عليهم ، عَصَوْه وكذَّبوه ، يقول أبو السعود : " كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تهوى أَنفُسُهُمْ "جملة شرطيةٌ مستأنَفةٌ وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الإخبار بأخذِ الميثاق وإرسالِ الرسل ، وجواب الشرط محذوف ، كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل: كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تُحبه أنفسهم المنهمكة في الغنى والفساد من الأحكام الحَقّة والشرائعِ عَصَوْه وعادَوْه" ([42])

ثُمَّ مَنَعَ جَعْلَ الجملةِ الشرطية صفة لـ " رُسُلًا " لأنَّ النَّظم لا يساعده ، وذلك لأنَّ الجملة الخبرية إذا جُعلتْ صفةً يُنسخ ما فيها من الحُكم ، وتُجعل عنواناً للموصوف تتمةً له في إثباتِ أمرٍ آخَرَ له ؛ ولذلك يجب أن يكون الوصفُ معلومَ الانتساب . يقول أبو السعود : " و أمَّا جعلُ الشرطية صفةً لـ " رَسُولٌ " كما ذهب إليه الجمهور فلا يساعده المقام أصلاً ضرورةَ أنَّ الجملة الخبرية ، إذا جُعلتْ صفةً أو صلةً يُنسخ ما فيها من الحُكم وتُجعل عنواناً للموصوف تتمةً له في إثباتِ أمرٍ آخَرَ له ؛ ولذلك يجب أن يكون الوصفُ معلومَ الانتساب ".([43])

---

[40] - العكبري ، التبيان في إعراب القرآن 2 \ 997

[41] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 6 \ 248

[42] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 63

[43] - أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 63

أمَّا الزمخشري فذهب أنَّها صفةٌ " كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ : جملة شرطية وقعت صفة لـ " رُسُلًا " ، والراجع محذوف أيْ : رَسُولٌ منهم بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ بما يخالف هواهم ، ويضادّ شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع" (44)

فالزمخشري قَّدر المعنى رَسُولٌ منهم بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ بما يخالف هواهم ، ويضادّ شهواتهم من مشاقِّ التكليف والعمل بالشرائع ، و ما ذهب إليه الزمخشري بأنَّها صفةٌ ، لا يساعده النَّظم القرآنيُّ ؛ لأنَّ الصفة تكون ملازمةً للموصوف ، منسوبةً إليه ؛ لذلك لا يمكن تقديرها صفة منسوبة لـ " رُسُلًا " ، وكذلك لا يوجد رابطٌ بين الصفة و الموصوف ، فما ذهب إليه أبو السعود أنها استئنافية أوفق للنَّظم القرآنيّ.

الآية الثانية: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [الزمر: 23]

رجَّح أبو السعود أن جملة تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ " أنَّها جملة مستأنفة ؛ و ذلك أنَّ الاستئناف جيء به لبيان تأثير القرآن في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ، فهو يرى أنَّ صفتي " مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ " صفاتٌ للقرآن لذاته ، أمَّا" تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ " فهي مستأنفة ؛ لأنَّ الحديث في أَثَرِ القرآن على مَن يسمعه ، يقول أبو السعود : " " تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ" قيل صفةٌ لكتاباً أو حالٌ منهُ لتخصُّصه بالصِّفةِ والأظهر أنَّه استئنافٌ مسوق لبيانِ آثارِه الظَّاهرةِ في سامعيهِ بعد بيانِ أوصافهِ في نفسِه ولتقريرِ كونِه أحسنَ الحديثِ " (45)

أما السمين الحلبيُّ فتَبِعَ احتمالات الصِّناعة النحْوية دون النَّظر إلى النَّظم القرآنيّ ، لذلك نراه ذكر فيها ثلاثةَ أوجه : أولها : أنَّها صفةٌ ، و ثانيهما : حالٌ من كتاب ؛ لأنَّه موصوف ، و ثالثهما : مستأنفة . " قوله: «تَقْشَعِرُّ» هذه الجملةُ يجوزُ أَنْ تكونَ صفةً لـ « كتاب» ، وأَنْ تكونَ حالاً منه لاختصاصِه بالصفةِ، وأَنْ تكونَ مستأنفةً. (46)

فأبو السعود نَظَرَ إلى دلالة النَّظم القرآنيّ في تحديد الإعراب ، و الترجيح بين الأوجه الإعرابية ، فهو رجَّح الاستئناف في هذه الآية الكريمة ؛ لأنَّ الصفة " متشابهاً " جاءت لوصف القرآن الكريم في ذاته ، فهو متشابه في فصاحته و بلاغته ، ثمَّ جاء الاستئناف لبيان أثرِ القرآن في غيره ، حيث تقشعر القلوبُ عندَ سماعِه ، وذلك لأنَّ التأثير ليس صفةً ملازمةً له في ذاته ، إنما التأثير يكون في سامعيه وقت سماعه .

44 – الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل 1 \ 662

45 – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 7 \ 251

46 - انظر : السمين الحلبي ، الدر المصون 9 \ 423

المطلب الثالث : تعدد موصوف الصفة :

الآية الأولى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحج: 40]

رجّح أبو السعود أن تكون جملة " يُذْكَرُ فِيهَا اسم الله كَثِيراً " صفة مرفوعة للموصوف " مَسَاجِدُ " دلّت هذه الصفة على فضْلِ المساجد و أهلها ، ثمَّ ضعَّف أن تكون الجملة صفة للموصوفات الأربع " صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ " و ذلك لانتساخ شرعيتها ، فهي صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ لم تَعُدْ مكانَ لذكْر الله و إفراده، بالذكر ، يقول أبو السعود : " يُذْكَرُ فِيهَا اسم الله كَثِيراً " أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيرا صفةٌ مادحة للمساجدِ ، خُصَّت بها دلالةً على فضْلِها وفضلِ أهلها، وقِيل صفةٌ للأربعِ ، وليس كذلك ، فإنَّ بيان ذكرِ الله – عزَّ وجلَّ– في الصَّوامعِ والبيعِ والكنائسِ بعد انتساخِ شرعيَّتها ممَّا لا يقتضيه المقامُ ولا يرتضيه الأفهامُ " ([47])

الآية الثانية: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى } [البقرة: 282]

رجَّح أبو السعود أن تكون الجملة " مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ " صفة للموصوف " فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ " و ذلك لقلةِ اتصاف النساء به ، ثمَّ ضعَّف أن تكون الجملة " مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ " صفة للموصوف " شَهِيدَيْنِ " و ذلك للفصل بين الصفة و موصوفها بأجنبي ، يقول أبو السعود : " يقول أبو السعود :" مِمَّن تَرْضَوْنَ" متعلقٌ بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أيْ : كائنون مرضيّين عندكم ، وتخصيصُهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلةِ اتصافِ النساء به ، وقِيل: نعتٌ لشهيدين ، أيْ : كائنين ممن ترضَوْن ، ورُدَّ بأنَّه يلزم الفصلُ بينهما بالأجنبي ، وقِيل: بدلٌ من رجالكم بتكرير العامل ، ورُدَّ بما ذُكِرَ من الفصْلِ ، وقِيل: متعلقٌ بقوله– تعالى – فاستشهدوا فيلزم الفصلُ بين اشتراط المرأتين وبين تعليله " ([48])

الآية الثالثة: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } [الأعراف: 137]

ذهب أبو السعود أنَّ جملة " الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " صفةٌ منصوبةٌ للموصوف للمشارق والمغارب ، فالله بارك في مشارق الأرض و مغاربها ، للدلالة على مباركة كلّ ما فيها ، ثُمَّ ضعَّف أنْ تكون الجملة صفة للموصوف" الْأَرْضِ" ، لأنَّ هناك فصلاً بين الصفة و موصوفِها بالعطف " مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا" ، يقول أبو السعود : " قوله– تعالى – : {التي بَارَكْنَا فِيهَا} صفةٌ

[47] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 6 \ 106

[48] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 1 \ 270

للمشارق والمغارب وقِيل : للأرض ، وفيه ضعفٌ للفصل بين الصفةِ والموصوفِ بالمعطوف كما في قولك قام أو هند وأبوها العاقلة" ([49])

نتائج البحث : –

أولاً : النَّظم القرآنيُّ دقةُ اختيارِ الألفاظِ القرآنيَّةِ ، و ترتيبُها و تناسقُها تقديماً ، و تأخيراً ، أو ذِكْراً و حذفاً وفقاً للمعاني التي أرادها الله – سبحانه – في القرآن الكريم ، لذلك نجد أن كلَّ كلمة في القرآن الكريم وُضِعتْ في مكانها المناسب ، لِتُبيّنَ دلالات النص القرآنيّ وفق مراد الله – تعالى – .

ثانياً : البُنْيَةُ لها دور في تَعَدُّدِ الأوجهِ الإعرابيَّةِ ، فلذلك بعض الكلمات تَحْتَمِلُ أَكْثَرَ من وجهٍ ، كالأسماء المبنية التي يمكن تقديرُ أنَّها في محل رفعٍ أو نصبٍ أو جرٍّ " كأسماء الإشارة ، الموصولة ، الاستفهام ، و كذلك الكلمات التي لامُها حرفُ عِلة كالأعلى ، فإنَّ الحركة تكون مقدرةً عليها ، أو جمع المذكَّر السَّالم ، أو الممنوع مِنَ الصَّرفِ ، الذي تكون علامةُ جرِّهِ و نصبِهِ الفتحةَ ، أو التَّداخلِ في إعراب التوابع ؛ لأنَّها تَتْبعُ ما قبها في الإعراب ، لذلك يُبْرُزُ دورُ النَّظمِ القرآنيّ في تحديد وجِه الإعراب التي يتوافق مع النَّظم القرآنيّ و دلالته، التي هي مراد الله – سبحانه – في كتابه . **ثالثاً** : يوجهه أبو السعود غالباً ما ذَهَبَ إليه في إعرابِهِ للتابع النحويّ الصفة وفقاً للنَّظم القرآنيّ مُبيّناً دلالتَهُ ، و فائدةَ مجيء الصفة في هذه الجملة أو الآية الكريمة .

رابعاً : يَعْتَمِدُ أبو السعود غالباً النَّظمَ القرآنيَّ في توجيه التابع النحويّ " الصفة " إمَّا ترجيحاً أو تضعيفاً للصفة معللاً ذلك الترجيح أو التضعيف ، و مُبيّناً له ، و في بعض المواضع يُرجِّحُ و يُضَعِّفُ إعرابَ الصفة دون بيان سببِ ذلك ، وقد يَذْكُرُ أوجهاً تحتمِلها الإعراب بدون ترجيحٍ بينها ، لِظنِّهِ أنَّ المعنى يحتمل كلَّ هذه الأوجه.

خامساً : للنَّظم القرآنيّ دورٌ هامٌّ في تحديد الموصوف للصفة ، حيث يمكن أنْ يَتَعدَّدَ الموصوف للصفة ، فلذلك نجدُ أبا السعود يُرجِّحُ ذلك وفقاً النَّظم القرآنيُّ لتحديد الموصوف ، مبيّناً عِلة ترجيحه للوجه الإعْرابيّ الذي اختاره .

[49] – أبو السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم 3 \ 266

المصادر والمراجع

ابن فارس ، ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (1399هـ - 1979م)، *معجم مقاييس اللغة* ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: دار الفكر ،

ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقيّ (1414 هـ) *لسان العرب* ،الناشر: دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة –

الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (2002م) *الأعلام* ،الناشر: دار العلم للملايين ،الطبعة: الخامسة عشر .

نجم الدين محمد بن محمد الغزي ، (1997) *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة* ،المحقق: خليل المنصور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى.

الزمخشريّ ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (د. ت) *المفصل في صنعة الإعراب* ،المحقق: د. علي بو ملحم ،الناشر: مكتبة الهلال – بيروت

ابن يعيش ، ، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، (1422 هـ - 2001 م) *شرح المفصل للزمخشري* ،، ،قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى.

ابن الحاجب ، ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان المصري المالكي (2010 م) *الكافية في علم النحو* ، المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى.

أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ،(1418 هـ - 1998 م)، *ارتشاف الضرب من لسان العرب* ، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد ، مراجعة: رمضان عبد التواب ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ،الطبعة: الأولى.

ابن هشام ،عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (د. ت) ، *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب* ،المحقق: عبد الغني الدقر ،الناشر: الشركة المتحدة للتوزيع – سوريا

ابن مالك ،محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي ، أبو عبد الله، جمال الدين(د. ت) ، *شرح الكافية الشافية* ،المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي ،الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة ،الطبعة: الأولى.

ابن عقيل ،المؤلف : ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري(1400 هـ - 1980 م) *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك* ،المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد ،الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ،الطبعة : العشرون

•الخطابيُّ ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (1976م) *بيان إعجاز القرآن* ،*مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن* ، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام ،الناشر: دار المعارف بمصر ،الطبعة: الثالثة

أبو هلال العسكريّ ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري(د. ت) ، *الصناعتين* ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت.

الجرجانيُّ ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي(د. ت) ، *دلائل الإعجاز في علم المعاني* ،المحقق: ياسين الأيوبي ، الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية ،الطبعة: الأولى.

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (1407 هـ) *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل* ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة -

العكبريُّ ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(د. ت) ، *التبيان في إعراب القرآن* ،المحقق : علي محمد البجاوي ،الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

أبو حيان ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(1420 هـ)، *البحر المحيط في التفسير* ،المحقق: صدقي محمد جميل ،الناشر: دار الفكر - بيروت .

السَّمين الحلبيُّ ، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (د. ت) ، *الدر المصون في علوم الكتاب المكنون* ،المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط ، الناشر: دار القلم، دمشق

أبو السعود ،المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(د. ت) ، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم* ،الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.